رأي القدس

تصعيد امريكي وبرود ايراني

■ اعتبر الرئيس الامريكي جورج بوش ايران مصدر قلق للامن القومي الامريكي، مضيفا بذلك بعدا جديدا لاتهامات اخرى من العيار نفسه، اطلقتها وزيرة خارجيته السيدة كوندوليزا رايس امس الاول، وقالت فيها ان ايران هي التحدي الاكبر والممول الرئيسي للارهاب.

هذه الاتهامات تأتي في نطاق حملة التصعيد ضد ايران من قبل الادارة الامريكية الحالية، بسبب عودتها لتخصيب اليورانيوم بعد قرار وكالة الطاقة النووية الدولية احالة برنامجها النووي الى مجلس الامن.

من الواضح ان ادارة الرئيس جورج بوش تعيش ازمة حقيقية، تتلخص في كيفية تعاملها مع الملف النووي الايراني، فهي تدرك جيدا ان الحلول الدبلوماسية وصلت الى طريق مسدود، والحلول العسكرية مكلفة للغاية لما يمكن ان يترتب عليها من نتائج خطيرة.

فرض عقوبات اقتصادية على ايران من قبل مجلس الامن الدولي، مثلما لمح امس خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية بالاتحاد الاوروبي، ربما يكون المفجر للازمة الاخطر في منطقة الشرق الاوسط. فالنظام الايراني لا يمكن ان يتقبل هذه الخطوة دون الاقدام على ردود فعل انتقامية. والوجود العسكري الامريكي في العراق هو الميدان المرجح في هذا الخصوص.

اما اللجوء الى الخيار العسكري، وهو خيار لم يستبعده ديك تشيني نائب الرئيس الامريكي اثناء كلمته التي القاها في الاجتماع السنوي للوبي اليهودي في الولايات المتحدة، فانه خيار غير مجد، يجمع الخبراء العسكريون بتأثيراته المحدودة على البرنامج النووي الايراني، بسبب اقامة المنشآت النووية الايرانية في اماكن متفرقة ومحصنة ضد الهجمات الجوية.

ايران تملك اوراق انتقام قوية يمكن ان تلجأ اليها في حال تعرضها لاي عدوان امريكي، ابرزها تحريض انصارها في العراق ضد القوات الامريكية ووقف صادرات النفط، وضرب منشآت نفطية وقواعد عسكرية امريكية في دول الجوار الخليجي.

ولا نعتقد ان الادارة الامريكية لا تضع في حسابها مثل هذه الاوراق، وردود فعل ايران الانتقامية المتوقعة، ولهذا تبدو ادارتها للازمة في ايران في قمة الارتباك.

ادارة الرئيس بوش جربت كل انواع التسريبات لارهاب الحكومة الايرانية ودفعها الى التراجع عن قرارها بتخصيب اليورانيوم مثل الحديث عن خطط عسكرية جاهزة للقيام بضربات جوية لتدمير المنشآت النووية والبنى التحتية الاقتصادية لايران، ولكن مثل هذه التسريبات لم تعط ثمارها، ولم تثن ايران عن مخططاتها للمضي قدما في مشاريعها لتخصيب اليورانيوم وانتاج الوقود النووي.

التطور الاخطر في هذا الخصوص هو ما سربته الحكومة الاسرائيلية الى بعض صحفها حول خطط اسرائيلية مماثلة لشن عدوان على ايران. ولو حدث واغارت الطائرات الاسرائيلية على اهداف ايرانية، مثلما فعلت عام 1981 عندما دمرت المفاعل النووي العراقي، فان هذا يعني فتح ابواب جهنم فعلا، وهز استقرار العالم بأسره، واحداث ازمة طاقة تؤدي الى ازمة اقتصادية عالمية خانقة.

الادارة الامريكية الحالية تلعب بالنار، وتنتقل من فشل الى آخر، فحروبها في العراق وافغانستان لم تنجح في تحقيق اهدافها في وقف الارهاب بل ادت الى تصعيده، وحربها المقبلة ضد ايران اذا ما انطلقت ستعطي الارهاب دفعة جديدة ربما تجعله خارج نطاق السيطرة.

خيارات امريكية صعبة بكل المقاييس وما هو اصعب منها وجود ادارة امريكية تفتقد الى ثقة شعبها وثقة العالم بأسره في الوقت نفسه.

معضلة نائب رئيس الجمهورية في مصر

محمد عبد الحكم دياب *

■ وجه أسامة الباز مستشار حسني مبارك إهانة كبرى لكل المصريين، ولا يمكن لأي شخص مهما تردى وضعه أن يمارس عملا مشينا، بهذا المستوى، دون أن يخضع لضغط أو ابتزاز، وملخص التصريح المهين الذي جاء على لسان المستشار الرئاسي أن حسني مبارك على استعداد للاعتزال «إذا وجد من يخلفه»، وفضلا عما فيه من استخفاف زائد بالعقول، واستهتار يتجاوز أقدار الناس. فإن فيه إهانة بالغة لقائله، ويحمل في ثناياه إهانة أبلغ لحسني مبارك نفسه، لأنه بهذا القول المتهافت يخاطب أحد أعرق الشعوب، ويفترض غيابه وعدم وجوده، وإلا كان قد اختار من بينه من يخلفه!!، ولو أنه شخص طبيعي لعرف أن الشعوب الغنية بقدراتها البشرية لن تعدم الآلاف، إن لم يكن الملايين، القادرة على الإدارة والحكم، وبها العديد الذين يخلفون من هم أكبر من حسني مبارك منزلة وأكثر قدرة وأوفر ذكاء، فالنساء لم يعقمن بعد عن حمل من هم مثله، ولم تتوقف أرحامهن عن إنجاب من يصلح لحكم مصر. ولم تجف ضروعهن فلم يجد المصريون ما يكفيهم ليقوموا مقام هذا الرئيس.

وهذا الذي ليس بغريب على حسني مبارك، فيه بعض الغرابة من المستشار الرئاسي، ولهذا سألنا بعض من هو على معرفة به فأكد بأنه لم يكن في حالته الطبيعية، وترك لنا استنتاج الباقي، أكان تحت تأثير مخدر أو عقار أو سائل يتعاطاه، لظرف أو لآخر، أم أن حالته الذهنية تعطلت بسبب وضعه النفسي والصحي المتدهور، وحسني مبارك يصدر منه مثل هذا القول كثيرا. فما زال المصريون في بريطانيا يذكرون رده على سؤال من أحد الحضور، في لقاء بالسفارة المصرية بلندن، لجماعة منتقاة، في تسعينات القرن الماضي.. وكان السؤال حول عدم وجود نائب له، فرد باستخفاف معهود «هات لي اثنين قلبهم على البلد وأنا أعين واحد منهم». عقب السائل: «ما السيد صفوت الشريف موجود»، وكان يجلس بجوار حسني مبارك، فرد بسخرية مستهجنا «إبقى عينه أنت»!!.

وقد نعتبر أن ما ورد على لسان أسامة الباز نوع من اللغو، لأن القاصي والداني يرى الأمور وقد دنت بالكامل لـ«النجل» ليرث حكم أبيه «في حياة عينه»، إلا أن هناك مصادر أخرى عزت صدور هذا التصريح، إلى وضع خاص نشأ داخل القوات المسلحة من جراء تدخل «الرئيس الموازي» في شؤونها، وتمكنه من السيطرة على الحرس الجمهوري، وهذا الوضع أصبح ضاغطا لدرجة لم يجد معها حسني مبارك إلا إطلاق هذا التصريح، الذي يحمل من التدليس أكثر مما يحمل من الاستقامة، في محاولة لامتصاص غضب يبدو أنه يزيد بين أفراد القوات المسلحة، إلى أن تمر «مرحلة الانتقال» المطلوبة بسلام، وتكتمل بعدها مراسم تتويج «ولي العهد» الجمهوري في الوقت المناسب. ومن أجل أن يخفف من التأثير السلبي لصور البذخ الذي ظهر بها حفل الخطوبة «الملكية» لـ«النجل» على خديجة الجمال كريمة أحد حيتان المال والأعمال والمقاولات، باعتبارها خطوة مطلوبة لاعتلاء العرش «الجمهوري»، بعد تأجيل انتخابات المحليات لما بعد السنتين المطلوبتين لاستكمال التأهيل، وعندها سوف يكون «النجل» المرشح الذي لا ينازع، في ظل قيود المادة 76 المصممة على المقاس. وهنا تشير أوساط مطلعة أن «الرئيس الموازي» كان قد تخلى عن فكرة الزواج، لأسباب لم يتم الإفصاح عنها بعد.

النية في تعيين خليفة أو البحث عنه، خارج العائلة، غير متوفرة أصلا، ولو كانت متوفرة لطبق النص الدستوري الذي يحض على تعيين نائب أو أكثر للرئيس، وما أتاح لأسرته هذا التمكن من السلطة والمال والنفوذ، دون حق دستوري أو قانوني، والسلطة آلت لـ«النجل» بالتعيين دون رغبة ولا تزكية من أحد، غير الأب والأم والأخ، ولم يجرؤ على دخول الانتخابات ليكسب لنفسه درجة من الشرعية.. لم يتعود على الاحتكام لأحد، لأنه نشأ في مناخ جعل الاستبداد يجري في دمه، وبدا وكأن التعالي في تركيبه الجيني، أما التكويش فهو طبيعة مغروسة فيه من الصغر.. لم يسمع عنه أحد قائدا طلابيا أثناء الدراسة، ولا التميز بين الأقران. وما يعرف عنه أنه يعاني «رُهَاب» الجموع والخوف المرضي من الانتخابات. وهو ما يمكن تعريفه بـ«فوبيا الشعب»، حتى حينما وجد من ينصحه بالتغلب على هذه العقدة، بحضور مباراة كأس الأمم الإفريقية، لم يجد حلا إلا في إفراغ استاد القاهرة من رواده، جمهور الكرة الحقيقي. واقتصر الحضور على أبناء الأغنياء ورجال الأعمال وموالي عائلته، لأنه لا يشعر بالأمان خارج هذه الأوساط!!.

وقد يكون طبيعيا في حكم طارد للكفاءات والشرفاء والوطنيين والمتميزين، ألا يجد حسني مبارك حوله واحدا من هذا النوع ليخلفه. إنما هو التعمد والإصرار، لتتحول مصر إلى عقار يورث لأولاده وأحفاده من بعده. وأسامة الباز حين يتخذ من هذا التصريح ذريعة لنفي التوريث فإنه يعكس التدليس الذي يغطي التصرفات الرئاسية من رأسها إلى إخمص قدميها. ومن مظاهر هذا التدليس ما ورد على لسان سوزان مبارك، حين ادعت، الأسبوع الماضي، أن «عصرها» شهد اختفاء شلل الأطفال من مصر، ولأنها لا تطلع ولا تتابع، اعتمادا على الكتبة والملقنين، ولو بذلت جهدا بسيطا لاكتشفت أن «عصرها» أعاد شلل الأطفال إلى مصر مرة اخرى، بعد سنوات من الاختفاء، وجعل مصر واحدة من أفقر ست دول استوطن فيها المرض.. ونُسِب هذا التدليس إلى ممثل منظمة الصحة العالمية بالقاهرة، بالضبط مثلما نُسِب موقف مشابه لممثلة منظمة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وضعت اللوم على اللاجئين السودانيين فيما حدث لهم في قلب القاهرة، وكأن ممثلي الأمم المتحدة يعملون لدى القصر الرئاسي. لكن المشكلة هي أن هذا التدليس لم يغط على حجم انتشار مرض الكبد الوبائي، ونسبته في مصر الأعلى في العالم، بل ازاح الغطاء عن مجالات التفوق التي تحققت في «عصرها».. تفوقت مصر في أمراض السرطان.. تضاعفت ست مرات، واحتلت مصر المركز الأول فيها، وتفوقت على ما غيرها في عدد المصابين بالفشل الكلوي، ليتجاوز عددهم أكثر من عشرين مليون نسمة من شعب تعداده 72 مليونا.

وبماذا نسمي وعد حسني مبارك، الذي لم ينفذ منذ أكثر من سنتين بإلغاء الحبس في قضايا النشر؟ هل نسي الصحافيون أن الذي غلظ الأحكام ضد الصحافيين سنة 1995 كان حسني مبارك؟ لم يكن عبد الناصر الزهيري من صحيفة «المصري اليوم» أول من وقع تحت طائلة هذا القانون المغلظ، ولن تكون أميرة ملش بصحيفة «الفجر» المستقلة آخرهم.. التدليس نمط ثابت في حكم مصر. تم توظيفه في حملة «التمديد» و«التوريث»، وبعد استقرار التمديد وضمان التوريث، يحتاج «الرئيس الموازي» إلى تتويج قبل غياب الوالد، وهذا التتويج الذي من المتوقع أن يتم بـ«العافية» أصبح في غير حاجة إلى وعود، من ذلك النوع المتضمن في برنامج حسني مبارك الانتخابي، بتعديل الدستور بما يسمح باستقلال القضاة، وحرية إصدار الصحف وتكوين الأحزاب.

وذلك لأن «الرئيس الموازي» انتقل بالتدليس خطوة متقدمة.. يقود فيها هجوما بائسا بمباركة الوالد على أهم سلطتين في مصر، واحدة جماهيرية.. تشكل الرأي العام وتؤثر فيه، هي سلطة الصحافة. أما السلطة الأخرى فهي سلطة «دولتية»، إذا جاز التعبير، أي أنها واحدة من السلطات الثلاث، التي تبنى عليها الدولة الحديثة.. وهي سلطة القضاء، المنوط بها تطبيق القانون وإقرار العدالة، يصفي فيها كل من تجرأ على كشف صور تزوير الانتخابات، لكي لا يبقى إلا قضاة وصفتهم المستشارة نهى الزيني، في مذكراتها التي سجلت فيها، كشاهد عيان، وقائع التزوير بـ«المنبطحين». وما فات «الرئيس الموازي» أنه وهو يقوم بهذه التصفية يقرب ما بين الصحافيين والقضاة، ودون أن يدري يأتي اختياره لقضاة، من أمثال الذين أصدروا أحكاما بالسجن على أيمن نور وعبد الناصر الزهيري وأميرة ملش وغيرهم فيعطي تأثيرا عكسيا، وإن كان باختياره هذا يهدف إلى تشويه القضاة عند الصحافيين، ودق إسفين بينهم وبين القضاة. إلا أن الحسابات الغبية لا تمكنه من رصد التحولات والمتغيرات التي حدثت في الشارع المصري، وبين القوى السياسية، بشكل وضع السلطتين في خندق واحد، فنالتا تعاطف قطاعات عريضة ممثلة للشعب، في النقابات والمنظمات الأهلية وجهاز الدولة وبين عموم الناس.

ويبدو أن صفوت الشريف فطن لهذا المأزق فأراد أن يخفف منه لحسابه، وتقربا لحسني مبارك، الذي ما زال مصدر رجاء لإبقائه رئيسا لمجلس الشورى، إذا ما أزاحه «الرئيس الموازي» في المؤتمر القادم للحزب الحاكم، المقرر في ايلول/ سبتمبر القادم، من منصب الأمين العام، ليفسح لنفسه الطريق لقيادة الحزب الحاكم، فانتصر الشريف لمحمد إبراهيم سليمان، وزير الإسكان السابق، كشخصية مفضلة ومدللة لدى حسني مبارك، وأظهره بمظهر صاحب اليد العليا، المتسامح أمام «صلف» الصحافيين، المتفضل عليهم بالتنازل عن القضايا التي رفعها ضدهم، وغطى، بهذه التنازلات، على استمرار قانون الحبس في قضايا النشر.

كنا نظن أن هذه «العائلة» تملك وعيا يمكنها من مراجعة تصرفاتها، وتحذو حذو رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، مارغريت ثاتشر، والتي عندما شعرت بحرج قد يتسبب فيه نشاط ابنها مارك، المالي والتجاري، أبعدته عن بريطانيا، كي لا يصبح نقطة ضعف تمكن المعارضة العمالية منها، بما يطعن في جدارتها للحكم.. وكان قد نسب لها أنها تدخلت لدى السلطان قابوس بن سعيد ليرسي على ابنها عطاء تشييد الجامعة العمانية، وكانت تكلفتها 350 مليون جنيه استرليني بأسعار الثمانينات، وكم من مرة زار فيها حسني مبارك زعماء خليجيين وغير خليجيين، يطلب منهم إرساء عطاءات وأعمال على ابنه الأكبر، وهو إذا لم يكن قادرا على التعلم من تجربته المصرية، فأولى به أن يستفيد من تجربة ثاتشر مع ابنها مارك.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

برنامج الدولار مقابل المقالة لتجميل الاحتلال الامريكي

هيفاء زنكنة *

ان متابعة الاخبار السياسية والاقتصادية والامنية، التي يتم بثها ونشرها من قبل معظم اجهزة الاعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية في العراق المحتل، تدفع القارئ والمشاهد الى التوقف طويلا مستغربا ومتسائلا: ترى عن اي عراق يتحدثون؟ هل هو العراق الذي نعرف جيدا ما يمر به من كوارث وانتهاكات وجرائم، عراق تنهشه سلطة الاحتلال وسياسيي الطائفية البغيضة والعرقية والمليشيات التي اختلست ايامه ولياليه، ام انه العراق الذي يصورونه مزوقا بماكياج الديمقراطية والحرص على حقوق الانسان؟

ويبدو التناقض ما بين الواقع المرير والسراب في اوضح صوره عندما نشاهد وزير الداخلية بيان جبر صولاغ متحدثا في مؤتمر صحافي، تنقله قناة العراقية، الناطقة باسم سلطة الاحتلال، مباشرة وهو يؤكد سيطرة وزارة الداخلية التامة على الحالة الامنية واستتباب الاستقرار، بينما يتم، في الوقت ذاته، قصف الزاوية الخضراء حيث يقبع الوزير محتميا بظل سفارتي الاحتلال الامريكية والبريطانية. مما يعيد الى الاذهان صورة وزير الاعلام في النظام السابق محمد سعيد الصحاف، في شهر آذار (مارس) 2003، وهو يصرح بان القوات العراقية مسيطرة تماما على الوضع بل ومنتصرة بينما ينظر الصحافيون والعالم بذهول، في اللحظة ذاتها، الى الدبابة الامريكية وهي تقف خلفه.

واستكمالا لصورة التناقض ما بين الحقيقة وصناعة الخبر المفبرك ضمن تصور ايديولوجي معين ومن ثم نقله الى القراء كحدث مجرد، كل ما علينا عمله هو قراءة خبر نشرته الصحافة العراقية، يوم 7 آذار (مارس) 2006، مفاده ان وزير الداخلية صولاغ عقد اجتماعاً موسعاً ضم وكلاء الوزارة والمدراء العامين للسفر والجنسية والدفاع المدني والعمليات والحدود والجرائم الجنائية والمستشار القانوني لبحث الاوضاع الامنية في البلاد والجهود المبذولة لتشكيل الحكومة المقبلة. واذا ما تذكرنا بان صولاغ هو الوزير المشرف شخصيا على سجون وتحقيقات وارهاب مغاوير وزارة الداخلية، لادركنا بان الكذب في نقل الخبر، ولا اقول التضليل الاعلامي لان الاخير يفترض بعض درجات الذكاء في الصياغة والايهام، يبلغ اقصى الوضوح عندما تصاغ تكملة الخبر بالشكل التالي: «مصدر مسؤول في الوزارة ذكر في تصريح صحافي ان الوزير أكد خلال الاجتماع على ضرورة اتخاذ الجانب القانوني في الاجراءات التحقيقية وضرورة احترام حقوق الانسان بما يضمن سلامة الاجراءات التحقيقية».

ولأن تمرير الخبر الكاذب او المضلل اعلاميا أسهل في الصحافة المطبوعة منه من المرئية وذلك لاعتماد المرئية على الصورة، يلاحظ بان انتشار صناعة الخبر الكاذب والتضليل الاعلامي قد بلغ مداه في بعض الصحف العراقية، الامر الذي يستحق المتابعة، خاصة وان عدد الصحف والمطبوعات اليومية والاسبوعية والشهرية، في ظل الاحتلال، قد كسر حاجز المئة. ولد بعضها في اعقاب الاحتلال بتشجيع ورعاية من الادارة الامريكية تكريسا لخطابها بان تعدد الاصوات والمنابر هو الدليل المباشر على حرية الكلمة والصحافة ومن مظاهر الحياة الديمقراطية. من بين مواليد هذا العهد صحيفة «الصباح» الرسمية الناطقة باسم الاحتلال ومجلس الحكم بداية، ثم من ورث الحكم من بعده.

كما انتقل عدد من الصحف الى العراق بعد صدورها في العواصم الاوروبية لبضع سنوات كما هو حال صحيفة «الزمان» اللندنية، او دخل العراق مثل العديد من الاحزاب ورؤساء احزاب ما يسمى بالمعارضة على ظهر الدبابة الامريكية، كما هو حال صحيفة المؤتمر الناطقة باسم المؤتمر العراقي برئاسة احمد الجلبي. وهي الصحيفة الممولة رسميا من قبل وكالة المخابرات الامريكية السي آي ايه. واستمرت مواصلة خطها الدعائي الاعلامي المكرس للسياسة الامريكية حتى الان. حيث صرح رئيس تحريرها لؤي بلداوي في مقابلة مع صحيفة «لوس انجلوس تايمز» بتاريخ 30 تشرين الثاني/ نوفمبر قائلا: «نحن من مؤيدي السياسة الامريكية. وسنقوم بنشر كل ما يدعم امريكا». وواصل عدد من الاحزاب السياسية والهيئات الدينية اصدار مطبوعاته بعد اضافة صفحات جديدة مثل صفحات المنوعات والتسلية والفنون وفي بعض الاحيان اما زاوية او عمود او صفحة لشؤون المرأة، من اجل توسيع قاعدة القراء والانتشار.

وقد لعبت ادارة الاحتلال دورا كبيرا في صياغة سياسة الصحافة العراقية المتلقية للدعم المادي المباشر منها وكذلك من خلال تدريب الصحافيين في الدورات المنظمة من قبل المؤسسات الامريكية او المتلقية للدعم المادي غير المباشر منها. كما بات معروفا تدخل القيادة العسكرية الامريكية ومن خلال برنامج الدعاية والاعلام العسكري في كتابة ونشر المقالات الدعائية المروجة للسياسة الامريكية، والدالة على تحسن الاوضاع الامنية في العراق، وترحيب المواطنين بوجود قوات الاحتلال، وتشويه صورة المقاومة الوطنية وعملياتها المستهدفة لقوات الاحتلال. حيث تم نشر مقالات من هذا النوع في العديد من الصحف العراقية حيث تلقت ادارة الصحف مبلغا لقاء نشر مقالات بعنوان «تخصيص ميزانية كبيرة لبناء العراق».

وقد صرح الجنرال جورج كيسي، قائد القوات الامريكية في العراق، منذ ايام، بان القوات الامريكية ستواصل دفع المال لاجهزة الاعلام العراقية لقاء نشر مقالات وأخبار تحسن وتجمل من صورة القوات الامريكية. وان نتيجة التحقيق في قضية نشر المقالات لقاء اجر مدفوع تشير الى ان جهاز الدعاية والاعلام العسكري كان يقوم باداء عمله ضمن صلاحياته ومسؤولياته. وزاد من الطين بلة تصريح مسؤول الوحدة الذي بدا مستغربا من الضجة الاعلامية التي صاحبت نشر الاخبار مؤكدا بان نشر المقالات والتحليلات المدفوعة الثمن في صفحات الرأي العراقية مسألة عادية!

في ضوء هذه التصريحات المهينة لمضمون ومصداقية واخلاقية العمل الصحافي المستقل، كيف نقرأ الاخبار والتحليلات السياسية المنشورة في الصحف العراقية المدعومة من قبل الاحتلال؟ وكيف نتلقى الاخبار المدونة فيها؟ وهل نصدق، مثلا، تصريح الطالباني المنشور في جريدة الصباح ومفاده «أن الائتلاف والتحالف عائلة واحدة». وفي ظل تزييف الاخبار الاقتصادية، هل نصدق الخبر القائل: «خصصت وزارة المالية خمسة تريليونات و300 مليون دينار لاصلاح البنية التحتية لحقول النفط الجنوبية». وهل صحيح ان ازمة الكهرباء سببها المواطن العراقي المسكين، كما ينص الخبر التالي: «ثمة غموض يكتنف هذه الأزمة التي لا يبدو انها مرشحة للانفراج، بل انها تنذر بالخطر في ظل الازدياد المضطرد في الاستهلاك جراء تزايد اعداد المستهلكين والأجهزة التي اضحت بمتناول اليد». وماذا عن مدينة سامراء التي عانت الأمرين من التفجيرات وهجوم القوات الامريكية وبناء سور حولها وتفجير قبة جامع الامام العسكري، هل بامكان سكانها ان يصدقوا تصريحات مصدر مسؤول في وزارة البلديات والاشغال العامة القائلة: «ان الوزارة أعدت خطة لتحديث المخطط الاساسي للمدينة وتنظيم شبكات الطرق والخدمات الاساسية وتطوير القطاعات السكنية والتجارية فيها». وتأتي تصريحات وزير العمل والشؤون الاجتماعية إدريس هادي صالح بان «العراق يخطو خطوات واسعة وواثقة بالنهوض بالطفولة والمرأة وتوفير الحماية الاجتماعية وخلق بيئة آمنة ومستقرة تشجع على الاستثمار والاستفادة من برامج الأعمار والإصلاحات الاقتصادية»، لتؤكد للقارئ بما لايقبل الشك بان الاموال الامريكية المدفوعة لنشر الاخبار والمقالات في الصحافة المأجورة تعمل على تحسين صورة الوزراء العراقيين فضلا عن المسؤولين الامريكيين. والا ما معنى تصريح وزيرة الاتصالات جوان فؤاد معصوم بأن «خدمة الهواتف العمومية مهمة جدا بالنسبة للمواطن فهي تسهل اتصالاته في أي وقت أو مكان». مشيرة إلى أن وجود الهواتف العمومية في شوارع بغداد تعد ظاهرة حضارية تضاهي ما موجود في دول العالم!

ان القاء نظرة سريعة على برنامج عمل وحدة التوجيه والاعلام العسكرية الامريكية يبين بان خلط الحقائق بالاكاذيب، بالنسبة اليهم، عمل يومي ومشروع، يقومون من خلاله برسم صورة جديدة للعراق لا تشبه الواقع المرير. وفي ظل غياب الصحافة الوطنية وتهديد وترويع الاصوات المستقلة، تحول اعلام الاحتلال الى حربة موجهة الى قلب الحقيقة. فصار الغزو تحريرا، وفعل المقاومة ارهابا، وقوات الاحتلال هي القوات متعددة الجنسيات، وصار استهداف قوات الاحتلال قتلا للمدنيين واستهدافا للمواطنين. وباتت الديمقراطية وحقوق الانسان ملكا صرفا لقوات الاحتلال والمتعاونين معها، وكل من دخل العراق غازيا ومنتقما هو مدافع عن الحرية. لذلك لم يعد من المستغرب استهداف الاحتلال وميليشياته لحياة الاعلامي المستقل ومحاربته اجهزة الاعلام المتمسكة بالقيم والمواثيق الاخلاقية للمهنة، ووحدة العراق واستقلاله، وما حوادث اغتيال الصحافيين المتزايدة واجبار آخرين على مغادرة العراق غير مثال آخر على تفريغ العراق من اصواته المستقلة.

* كاتبة من العراق

عن جريرة الايمان بالله!

د. عبد الوهاب الأفندي

■ في المسلسل الكوميدي التلفزيوني البريطاني المشهور «نعم سيدي رئيس الوزراء» الذي كان يعرض في الثمانينات كان هناك مشهد يجري فيه حوار بين كبير مسؤولي الخدمة المدنية السير همفري، ورئيس الوزراء جيم هاكر حول تعيين اسقف في منصب شاغر. ويوضح سير همفري الذي يتولى شرح تعقيدات المسألة لرئيس الوزراء ان الكنيسة تفضل تعيين المرشح «الحداثي» على المرشح التقليدي. وحين يستفسر رئيس الوزراء عن الفرق بين الحداثي والتقليدي، يوضح سير همفري على مضض ان الحداثي هو الذي لا يؤمن بالله بينما التقليدي هو الذي يؤمن بوجود الله.

(2)

عندما يتساءل رئيس الوزراء مستغربا عن سبب تحفظ الكنيسة على قس يؤمن بالله وقبولها بملحد، يجيبه سير همفري بأن الكنيسة هي الآن مؤسسة اجتماعية لها مصالحها واملاكها، وهي مهتمة باقامة التوازن داخلها بين فئة المؤمنين والمتشككين. وفوق ذلك فان القسيس المؤمن بالله يعارض دور الملكة في رئاسة الكنيسة، وهو دور لا يمكن فصله عن جوهر وجود الكنيسة. ويتساءل رئيس الوزراء: وماذا عن دور الله؟ فيجيب سير همفري: انه دور يمكن وصفه بأنه «خيار اضافي».

(3)

ولأن الواقع قد يكون اغرب من الخيال، فان وقائع هذه الحكاية المتخيلة تم تمثيلها واقعا لا تخيلا على مسرح الحياة العامة البريطانية الاسبوع الماضي مع رئيس وزراء حقيقي واسقف حقيقي ـ وكما في المشهد الكوميدي فان رئيس الوزراء كان يصرح بايمانه بالله فيما كانت اجابة الاسقف ملتبسة على افضل تقدير.

(4)

الواقعة الاولى كانت في مقابلة اذاعية اجرتها البي. بي. سي مع كبير اساقفة كانتربري روان ويليامز، الحبر الاعظم في الكنيسة الانجيلية خلال زيارته الاخيرة للخرطوم، وسأله المذيع فيها عما اذا كان يؤمن بالله. السؤال مستغرب في حد ذاته، ما لم يكن لدى المذيع اسباب تدفعه للاعتقاد بأن هناك اسبابا تضع هذا الايمان موضع الشك. وبالفعل فان اجابة كبير الاساقفة كشفت عن السر، حيث ان ويليامز اكد فعلا بأنه يؤمن بالله بكل كيانه وقلبه، وبكل الأمل، وانه مستعد ليراهن بحياته على هذا الايمان. ولكنه اضاف فورا: اما اذا كنت تقصد بانني اعرف بوجود الله معرفتي بأنك الان تجلس امامي هنا في الخرطوم، فلا. وهنا بيت القصيد، فكبير الاساقفة يصرح هنا بأنه يأمل ان يكون الله موجودا، ولكنه غير متأكد من وجوده!

(5)

الواقعة الثانية كان بطلها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الذي صرح في مقابلة تلفزيونية بأنه اتخذ قراره حول غزو العراق من منطلق الايمان بالله، وانه يؤمن بأن الله سيحاسبه على قراره.

(6)

الطريف في الامر ان بلير تعرض لعاصفة من النقد والسخرية، واصبح موضع التندر في كل البرامج الفكاهية بسبب ما اعلنه عن ايمانه بالله وحسابه، بينما كانت تصريحات روان ويليامز عن ايمانه «المخفف» موضع مدح واعجاب من معظم المعلقين. وهذا بدوره يكشف ان كتاب المسلسل الكوميدي كانوا يعبرون عن الواقع اكثر مما تصوروا.

(7)

صحيح ان هناك فرقا جوهريا بين الايمان بالله والادعاء بأن المؤمن مفوض للحديث والتصرف نيابة عن السماء. وصحيح ان الانتقادات التي وجهت لتوني بلير انصبت على الدعوى الاخيرة! نفس الانتقادات تستحق ان توجه الى حليفه جورج بوش، وايضا الى كثير من زعماء المسلمين الذين يزعمون ان من ينتقدهم انما ينتقد الدين او الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا لا ينفي اننا اصبحنا في عصر صار فيه الايمان بالله جريرة دائما يمتدح من يتبرأ منه، حتى لو كان من رجال الدين، بينما يصبح من يصرح به موضع تهمة.

(8)

للمؤرخ البريطاني المشهور غيبون مقولة مشهورة عن النظرة الى الدين في روما الوثنية التي كانت فيها في كل الاديان متساوية في الصحة عند العامة، ومتساوية في البطلان عند الفيلسوف، ومتساوية في الجدوى عند الحكام، ويبدو ان قادة الكنيسة اصبحوا يجمعون بين موقف الفلاسفة والحكام، ويصبح الايمان بالله عندهم مثل الايمان ببابا نويل عند الاطفال، امرا مفيدا، او على الاقل لا ضرر فيه.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364